קורס: אדריכלות ערבית
הפקולטה לארכיטקטורה ובינוי ערים, טכניון
בתמיכת החממה החברתית בטכניון
סמסטר: אביב 2016

مساق: الهندسة المعماريّة العربيّة
كلية الهندسة المعماريّة وتخطيط المدن، التخنيون
بدعم الدّفيئة الاجتماعيّة في التخنيون
الفصل الأكاديمي: ربيع 2016

הרצאה והנחיה	**דר' נטע פניגר** **אדר' רות ליברטי-שלו**
محاضرة وإرشاد	د. نيطاع فنيجر المهندسة المعماريّة روت ليبرتي-شاليف

עבודה	**"בית הנג'אדה, חיפה"**
סטודנטים/יות	**טל לוקמן, שיר שוחט**
תרגום לערבית	**כפאח דגש**
وظيفة	"بيت النجّادة، حيفا"
طلاب/طالبات	تال لوكمان، شير شوحاط
ترجمة للعربية	كفاح دغش

© כל הזכויות שמורות. אין לעשות שימוש בחומר מעבודה זו ללא הרשאה מהיוצרים.
© جميع الحقوق محفوظة. من غير المسموح استخدام المواد المرفقة على أي وجه إلا بإذن مالكيها.

شير شوحاط وتال لوكمان-"بيت النجّادة"

بيت النجّادة، الذي سميّ بالأصل "بيت لجنة الأحياء العربيّة"، موجود في شارع هجيبوريم (شارع صلاح الدين سابقًا) في حي الحلّيصة، بالقرب من وادي روشميا، وعند الحدود مع حي رمات فيجنتس وحي الهدار غربًا. بدأ حيّ الحلّيصة بالتطوّر في أواسط القرن التاسع عشر، مع الخروج خارج أسوار المدينة. شهد الحي نهضة عمرانيّة للسكّان المسلمين بين السنوات 1909-1948، وعندما بني البيت عام 1936، كان حي الحلّيصة مسكونًا جزئيًا. كان موقع البيت استراتيجيًا بين حيّ الهدار والبلد التحتى، وأطل على المدخل الشرقيّ الرئيسيّ لمدينة حيفا. في عام 1948- أقيم في المبنى مقر قياديّ لمنظّمة النجادة- منظّمة شبابيّة قوميّة-عسكريّة عربيّة. اختير المبنى، كما يبدو، بسبب موقعه في حيّز حيفا- حيث سيطر على محيطه وكان قريبًا من الطرق الرئيسيّة. في 21 نيسان، بعد معركة استمرت يومًا تقريبًا، قامت منظّمة الهاجناه-كتيبة 22 باحتلال المبنى، الذي تحوّل لاحقًا لأملاك الغائبين. بيت النجّادة هو مَعْلَم أيقونيّ في الحيّز. يهتم العرب واليهود بقصته التاريخيّة وتكمن أهميته في الذاكرة الجمعيّة للشعبين.

طال لوكمان وشير شوحاط

جاء تطور مدينة حيفا وازدهار طبقات المجتمع العربي بأوائل القرن العشرين، حين قرر الحكم العثماني ربط سكة حديد الحجاز مع البحر المتوسط، فكانت حيفا هي موقع الربط. وحين أصبحت سكة حديد الحجاز النقطة الوحيدة الواصلة بين المتوسط والشرق، شكّل الأمر عاملاً قوياً في زيادة عدد سكان حيفا والنهوض الإقتصادي والتجاري الذي شهدته المنطقة. في عشرينيات القرن العشرين، بدأ الإنتداب البريطاني سلسلة أعمال تطويرية في المدينة، منها بناء الميناء، مدّ أنبوب النفط، بناء معامل التكرير وغير ذلك. أدّت هذه الأعمال إلى تغيّر مكانة حيفا على مستوى المنطقة والعالم، وإزدهارها الذي جلب معه موجة من المهاجرين العرب.

كما نتج عن هذه الخطوات تطور حيفا كميناء وكمركز تجاري، إضافة لتطور مواصلاتها وصناعاتها وكذلك حياتها الثقافية. كلّ هذا، ساهم في تعزيز مكانة حيفا عالمياً بتلك الفترة. تجدر الإشارة هنا إلى أن الحدود آنذاك لم تكن مسدودة وأن حركة التنقل من البحر المتوسط لجهة الشرق (دمشق، بيروت وعمّان)، كانت حرّة ومفتوحة. كما أدى تطور حيفا إقتصادياً وتجارياً إلى نمو طبقة إجتماعية جديدة بأوساط السكان العرب، وهي طبقة الأغنياء والمثقفين الذين عملت غالبيتهم بالتجارة.

موقع بيت النجّادة

يقع بيت النجّادة المسمّى في الأصل "مركز الإصلاح الأهلي" في شارع هچيبوريم 29 بحيّ الحليصة. تبلغ مساحته حوالي 869 متر مربع، ويجاور وادي روشميا ويحاذي من الغرب حييّ رمات ڤيزنيتس والهدار. وقد بدأت الحليصة تطورها بأواسط القرن التاسع عشر فور الخروج من داخل أسوار "حيفا الجديدة" المقامة كمرسى لعكا زمن ظاهر العمر. أمّا النهوض العمراني في الحي، فجرى بين السنوات 1909-1948، علماً أن القاطنين فيه هم بالأساس عرب مسلمون.

بُني "مركز الإصلاح الأهلي" سنة 1936، بعد أن كان بعض حي الحليصة مأهولاً بالسكان، وذلك في شارع صلاح الدين، على قسيمة ملاصقة لوادي روشميا وجسره. يُعتبر هذا الموقع نقطة إستراتيجية في الإنتقال من حي الهدار إلى البلدة التحتى، وبالنسبة لمدخل حيفا الشرقي، الذي كان مدخلها الوحيد من جهة الشرق.

منذ التشييد حتى سنة 1948

في الأصل، أُقيم بيت النجادة كمبنى سكني له 9 طوابق، وكان لطابق السطح وظيفة جماهيرية، حيث أستخدم بيتاً للجنة الأحياء العربية، عبارة عن مركز للقاءات الإجتماعية والحوارات ومصالحات الأهالي. وكان أصحاب العقار الأخوان صالح وعبد الله ملس، بينما خططه المهندس المعماري منصور عزام.

المهندس المعماري |إعتماد مبادئ التصميم الغربية وتأثيرها على الفن المعماري العربي في فلسطين

كان البناء العربي الريفي يتمّ بأيدي بناة مهرة تعلموا المهنة على مرّ الأجيال. لكن أبناء الطبقة الثرية في المجتمع العربي الحضري فضّلوا هندسة مساكنهم بأيدي مهندسين معماريين. أمّا المهندس المعماري منصور عزام فأنهى دراسة الهندسة المعمارية في باريس بمدرسةEcole des Beaux Arts ، ثمّ عاد لفلسطين وكان من أوائل المهندسين المعماريين العرب الذين عملوا في الناصرة وحيفا زمن الإنتداب البريطاني وبعده. وهو يُعتبر مؤسس الحداثوية في الهندسة المعمارية الفلسطينية بالمنطقة [1].نمَت بالنصف الأول من القرن العشرين داخل مؤسسات التعليم الغربية، حركة حداثوية أسست المفهوم المعماري المتمثل بإلغاء الزخرفة، ليحلّ مكانها خط نظيف، بساطة، وظائفية وتقنيات بناء متطورة. إستخدم منصور عزام، الذي تلقى دراسته الأكاديمية بمعهد غربي، الأدوات الغربية في الهندسة المعمارية فدمجها بالنزعة المحلية التقليدية العربية التي عرفها. هذا إلى جانب تأثير حضور الحركة التمبلرية والإنتداب البريطاني في حيفا، وما جلب لها من عمارات ذات معالم غربية لتصبح جزءاً من مشهدها الحضري.

شكل واجهات البناية :كلّها مرسومة بخط نظيف خالٍ من العناصر الزخرفية، ذات جمالية غربية حديثة وتلبيس بالحجر المحلي.

الفتحات :نُحتت حجارة الحزام العلوي للنوافذ بشكل يشبه عناصر الأقواس المتبعة في مباني الطراز الإسلامي. نظام فتحات الواجهتين الشمالية والغربية، يذكّر بما هو موجود في البيت العربي المسمّى "بيت البهو المركزي"، أي فتحة

أقواس ثلاثية بنظام "شباك-باب-شباك"، حيث يفضي الباب لشرفة خارجية. على قاعدة سواكف الأبواب هناك تفصيل يؤكد المدخل وهو عبارة عن عمود مقطوع.

الملاءمة مع طبيعة الأرض :أخذ هيكلية قطعة الأرض بعين الإعتبار والبناء فوق تضاريس شديدة الإنحدار – إستغلال الفرق الطوبوغرافي لبناء طابق سكني إضافي تحت مستوى الشارع، يكون الوصول إليه إلتفافاً من جهة الشمال.

خريطة حرّة :إنها ليست كخريطة البيت المربع النموذجي، بل تتغير بحسب هيكلية قطعة الأرض وموقعها.
طريقة الإنشاء :الإنشاء مدعوم بأعمدة تتيح المرونة في تقسيم المساحات الداخلية وتصميم الواجهة.

الخطة الهندسية :المحافظة على خريطة الليوان – بهو مركزي، إحدى واجهاته مفتوحة على المدخل. واجهة بيت النجّادة هي مدخل العمارة عبر مطلع درج. وكما هي التقاليد العربية، تصطف حول الليوان غرف مختلفة فتجعله قلب العمارة السكنية.

الواجهة الخامسة – موجودة بطابق السطح حيث العليّة التي أُستخدمت تقليدياً من قبل رب الأسرة أو صاحب البيت لاستقبال الضيوف الوجهاء. في البناء العربي الحديث، كما حال بيت النجّادة، نرى أن العلية تحولت من الإستعمال الشخصي إلى العام، إذ إستخدمها مركز الإصلاح الأهلي لأنشطة السكان العامة واجتماعاتهم.

مواد البناء :نرى في بيت النجّادة تجديداً من حيث مواد البناء، عمّا كان متبعاً بتلك الفترة، وهو الإسمنت أو الباطون. وتمّ تلبيس العمارة بالحجر المحلي المهذب بشكل دقيق ومنتظم.

نبذة عن منظمة النجّادة
النجّادة بالعربية، تعني "المنقذون"، وهي منظمة قومية عسكرية للشباب العرب، تأسست سنة 1945 من قبل المعارضين لمفتي القدس، الحاج أمين الحسيني. أقيم التنظيم على قاعدة النادي الرياضي الإسلامي وأعضاء الكشافة الأرثوذكس في يافا، وانضم إليه شباب من عمر 16 وما فوق، وكان هدفه المعلن غرس الإنضباط والحس القومي في نفوس الشباب العرب. ترأس التنظيم المحامي محمد نمر الهواري، بدوي من مواليد الناصرة. سنة 1947، أصبح التنظيم قوة مقاتلة بعد ضمّه لحزب أتباع الحسيني.

سنة 1948، معركة بيت النجّادة
سنة 1948، شملت العمارة مقراً لمنظمة النجّادة، وعلى ما يبدو، تمّ إختيار المبنى لموقعه الخاص على مستوى منطقة حيفا، مع توفر إمكانيات السيطرة ومراقبة المواقع المحيطة وكذلك قربه للطرق الرئيسية الهامة. في المقابل، شكّل الموقع الإستراتيجي لبيت النجّادة ومقرات تنظيم النجّادة ذاتها، هدفاً بارزاً بالنسبة لقوات الحركات اليهودية السرية وخاصة تنظيم "الهجناه" الذي إحتلت الكتيبة 22 التابعة له، العمارة بتاريخ 22.4.1948، بعد معارك استمرت يوماً كاملاً تقريباً.

منذ العام 1948 وحتى الآن
بعد إحتلال كتيبة الهجناة للمبنى أصبح من أملاك الغائبين. في البداية، كان بيد شركة عميدار ومع مر السنين، تبدل سكّانه وكذلك وظائفه العامة. بسنوات الثمانين والتسعين، عاشت في المبنى السيدة عليزا كوهن وأولادها (يوسي وشمعون وحاييم) وهي أسرة يهودية من أصل مغربي. بجوارهم، سكنت عائلة كيال (أخ مبدا القاطن في العمارة اليوم). لاحقاً، أقيمت في الطابق الأرضي مكتبة ثمّ دكان ملابس تابع لمنظمة "ڤيتسو". وفي العام 1999، انتقلت العمارة من ملكية عميدار لملكية بلدية حيفا، بينما يتنكر الطرفان اليوم من أية مسؤولية حيال صيانتها وترميمها. مع مرور السنوات ومنعاً لإنهيار الشرفات والدرج، تمّت إضافة تدعيمات من البروفيلات الفولاذية.
حالياً (في العام 2016)، يعيش بطابق السطح مبدا كيال مع أسرته، علماً أنه اشترى الشقة من أخيه سنة 1985. في الطابق الأول، يقع كنيس أسمه "شعري توراه" والذي يفتح أبوابه بشكل أساسي في نهايات الأسبوع. أمّا الطابقان السفلي والثاني فمغلقان ومهجوران. بنظر البلدية، المبنى خطر وهناك بين الفينة والأخرى محاولات إخلاء للسكان الموجودين فيه. هذا إلى جانب أن بيت النجّادة يشكّل معلماً أيقونياً ضمن الحيّز المجاور، إذ يؤمه على مدار العام زوار عرب ويهود من المعنيين بقصته التاريخية وبأهميته ضمن رواية الشعبين التاريخية. سابقاً، كانت البلدية راغبة بتحويل المبنى لمتحف، لكن الأمر لم يخرج لحيز التنفيذ حتى الآن.

التلخيص والإستنتاجات
في بحثنا، سلّطنا الضوء على حالة فردية هي بيت النجّادة المسمّى أيضاً مركز الإصلاح الأهلي. ومع أن هذا البيت يشكّل بحدّ ذاته عمارة أيقونية إلاّ أنه يروي حكاية العرب في فلسطين بالنصف الأول من القرن العشرين. إذ تشير إستطلاعاتنا

التي قمنا بها حول تطور مدينة حيفا في السنوات المذكورة، إلى وجود منحى تطويري وبنى تحتية متطورة، ما أتاح نهوضها إقتصادياً وتجارياً. أدى هذا الأمر لقيام طبقة من الأغنياء والمثقفين داخل المجتمع العربي التقليدي، الذين تثقفوا بالغالب في الدول المتطورة. فحاولنا من خلال عملنا هذا، معاينة طريقة تأثير هذه التحولات على الفن المعماري الذي تميّز به المجتمع العربي في فلسطين، وكيف تمّ تذويت الأفكار الهندسية الحداثوية وملاءمتها للمجتمع المحلي، وكذلك كيف تُرجمت الأدوات الغربية داخل الهندسة المعمارية العربية الحديثة.

[1]المعلومات مأخوذة من الدراسة البحثية لميرا سابا ذيب، "تتبّع الحداثوية العمرانية العربية في الحيّز الفلسطيني"